المَعْنَيَانِ الإِحَاليّ والجَماليّ في الخِطَابِ القُرْآني: المَفْهومُ، وآلِيَاتُ الإِنْتَاجِ

The relative and the aesthetic meanings in the Qur'anic discourse the concept, and the mechanisms of production

نصرالدّين وهّابي [1,*]

1جامعة الوادي, (الجزائر).Ouahabi07@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2021/08/11 **تاريخ المراجعة:**2021/09/09 **تاريخالنشر:** 2021/09/30

ملخص:

قال إدوارد سابير Sapir: "إنّ اللّغةَ تعيشُ في عالَم الأفكار". ولعلّ إحالةَ الخطاب الإلزاميّة إلى عالم أفكار المنتج له أن تَغْدوَ إحدى مصاعب القراءة التحليليّة، ولكنّا، وإن كنّا من المؤمنين بأنّ الخطاب عَصِيٌّ على التّناول، إلاّ أنّا نُقِرُّ للمدخل اللّغوي اللّساني بأنّه ذُو كفاءةٍ عاليةٍ في هذا الإطار من الآمال العِلمية؛ ذلك أنّ للمَنظومة اللّغويّة التي ينتمي إليها، بما هي منظومة سَنَنية ذاتُ تماسكٍ وانْسِجام، قُدْرةً على البلوغ إلى مركز انفعالات الخطاب وتفاعلاته:

فهل ذلك يقع بما تتوفر عليه اللّغة من وظيفة إحاليّة، هي جوهر كينونتها السّيميولوجية الكبرى، وبما تتوفر عليه من وظيفة جمالية كذلك؟ وكيف أخضع الخطاب القرآني الوظيفتين لغاياته التوصيلية، وبأي نوع من الآليات أنتجهما؟

الكلمات المفتاحية: المعنى الإحالي/المعنى الجمالي/لغة القرآن/الترادف/التحليل المعنمي

Abstract:

Edward Sapir said: "Language lives in the world of ideas,". So, referring the obligatory discourse to the world of the ideas of the consumer may become one of the difficulties of analytical reading, but even though we are among the believers that the discourse is difficult to deal with, we confess that the linguistic approach is highly qualified in this context of scientific hopes; This is because the linguistic system to which he belongs, which is a coherent and coherent encrypted system, has the ability to reach the focus of the discourse's emotions and interactions: Does this happen with the referential function that language has, which is the essence of its major semiological being, and with its aesthetic function as well? How did the Qur'anic discourse adjust the two functions to its communication purposes, and by what kind of mechanisms did it produce them?

*المؤلف المراسل

***Keywords**: referral meaning/aesthetic meaning/Quran language/ tandem/semantic analysis*

تقديم:

تتوزّعُ البنيةُ الدّلاليةُ العامّة للخطاب على مُسْتويين أساسيين؛ أحدُهما إحالي مرجعي، يظهر معناهُ في التّكفّل بالوظيفة التّفسيرية[1]، أي من خلال تبليغ القارئِ المنتوجَ الفكريّ، والمحتوى المضمونيَّ للخطاب، وفاقا للسَّنَن، والقوانين المرتبطة بِلُغَة ذلك الخطاب[2]. وهذا الكلامُ مُفَادُهُ أن الإحاليّة مُرادِفةٌ للإفْهام الملتزِم حُدُودَ ما قبل المستوى الثّاني؛ مُسْتَوى الجماليّة، أو مُسْتوى الوظيفة التّأثيريّة، تلك المتأتّية بالأَدَوَات الأسلوبيّة المتاحة في لغة ذلك الخطاب، وتَطْغَى إِحْدَى الوظيفتين على الأُخْرى تَبَعًا لألوان الخطاب، وتبعًا، كذَلك، لمقتضيات التّواصل العديدة والمتنوعة[3]. ويتأسَّسُ هذا الفهمُ على أن كافّة الإمكانات اللّغوية، في كل مستويات البنية اللغوية تتوزّع على ذَيْنِكَ المستويين: الإحالي والجمالي. وإن كُنّا، ها هُنا، نبتغي قصرَ التّحليل على مستوى النّسيج المعجمي في الخطاب؛ ذلك من خلال واحدة من قضايا متن اللّغة؛ قضيّة التّرادف اللّغوي؛ فإنَّ ما قد حَسِبَتْهُ كثيرٌ من الأَفْهام ترادُفًا ليس هُوَ غيرَ تصرّفٍ في الدّور الدّلالي، وتوزيعٍ لإمكاناته الإبلاغيّة وفاقًا لتحقيق غايتين اثنتين هما: الإفهام (=الإحالة)، والتأثير (= الجمالية). وهو ما نعرضه على هذا النحو:

- **أولا: مفهوم الإحاليّة والجماليّة في الخطاب:**

1- إنه ينبغي العلمُ بأن اللغةَ، إذْ تمارسُ وظيفتَها الاتصاليةَ، فإنها تَنْحُو مَنْحىً يُرى ضمن براغماتية، مخطّط لها سَلَفاً بأن تكون إقناعًا، أو تفسيرًا، أو تعليمًا، أو أيَّ شكلٍ مِن أشكال توجيه موقف المتلقي تُجَاه العالم، من خلال تثبيت وعيه به، أو استبدال وعيه القارّ لديه بآخر[4].

2- ويتعيّنُ معرفةُ أن النّص، أو الخطاب، في أثناء تحقيقه للوظيفة الإحاليّة (=التفسيريّة)، أو الإعلاميّة، فإنه يتوسّلُ إلى ذلك بآلياتٍ لُغَويّةٍ شتّى، يكون على رأسها، أو في مقدِّمتها، ما يُرى في أدوات متن اللّغة، أي المرتبطة أساسا بالاختيارات المعجميّة، وهو الذي يتمُّ الحديثُ فيه ضمن ما يُنْعَتُ بالرّبط المعجمي، أو الرّبط الإحالي[5].

3- وإن الجمالية هي ما يتجاوز مُستوى التكفل بنصية النص، أو بناء الخطاب، إلى توخي ما يزيد على تأمين بلوغ المحتوى الفكري بتوفير الوسيلة التأثيرية في المتلقي، وهو ما يتمُّ بحثُه ضمن تداوليات الخطاب[6]، وعلى ما تقدم، فإننا نجتهد في الكشف عن القيمة التي تفسر استخدام الكلمة في الخطاب (= الحدث الاتصالي) بين كونها للإحالة، أو للتأثير، ونحن، هنا، نعمل بما قد قرره دو سوسير حين يقول: "الكلمة إذا وقعت في سياق ما لا تكتسب قيمتها إلا بفضل مقابلتها لما هو سابق، ولما هو لاحق لها، أو لكليهما معا"[7].

- **ثانيًا: التحليل اللساني المعنمي للتقارب الدلالي:** يأتي حديثُنا هنا مباشرا لقضيّتين اثنتين؛ هما: قضيّة التّرادف. والإحاليّة والجماليّة في الاستخدام النّصّي للتّرادف. وسنعمل على بلوغه من سبيل التحليل المعنمي، هذا الذي تتلخص مقولتُه في إمكانية تشريح الدليل اللغوي إلى حُزْمة من الوَحَدَات المعنمية الصُّغرى، وذلك لأجل مقابلة استجابة الهيكل الفونيتيكي للدليل إلى التوزيع إلى مجموعة من السمات، باستجابة المحتوى المضموني إلى مثل ذلك، ويُسمّى كل مُكوّن معنوي جزئي، أو كلُّ وحدةٍ دلاليّةٍ صُغْرى مَعْنَمًا (seme)، وجمعُه معانم (semes)[8]، أو سِيمِمَات (sememes)[9]. والمعنمُ بهذا التّقديم، مختلفٌ كثيرًا عمّا قد أُرِيدَ له في بعض التّحْليلات الأخرى[10]. ويظهر لهذا الضّربِ من التّناولِ التّشريحيّ للدّليل أهميةٌ بالغةٌ إذا لُوحِظَتْ فعاليّتُه في مسألة من مثل مسألة التّرادف في اللّغة.

1- التّحليل المعنمي للتّقارب الدّلالي (=التّرادف): لا نَرَى من اللاّزم أبدا أَنْ نعرض لهذه القضيّة عرضا يأتي على كافّة تفاصيلها، إذْ إنّ ذلك مما قد تصدّت له دراساتٌ بِطُولها وعَرْضها، وربما يكونُ من المجزئِ أن نكتفيَ بالإحالة عليها، فحسْب[11]. وليس كلّ لفظٍ من طَرَفَي العمليّة التّرادفيّة، أو اللّفظ المرادف، غيرَ شريكٍ لمرادفه في قَدْرٍ من المعنى، وهو ما يُسَمُّونه بالتّرادف الجزئي، أو شبه الترادف. وتُقَدِّمُ المعنميةُ هذا القدرَ المشتركَ على أنّهُ الحدُّ الأدنى من المعنى، في كلِّ لفظٍ من لفظين مظنونٍ بهما التّرادف، فهو، إن جاز التّعبيرُ، الخطُّ الدَّلاليُّ الخلفيُّ الذي لا يَأْذَنُ بِتَخَطِّيه، لأجلِ عِصْمة المحتوى القَوْلي من الإهدار[12]. ويُسمّى هذا المستوى من الدلالة بالمعنم النووي؛ أي الثّابت، تمييزًا له عن المستوى الثاني، وهو ما يتميّز به كلُّ لفظٍ على حِدة؛ أي عند كلِّ استخدامٍ سياقي، وهو، لأجل ذلك، يُنْعَتُ بالمعنم السياقي[13]، ولنا، بعد هذا، أن نعدَّ الدّلالةَ النّوَويّةَ المشتركةَ بين المترادفات هي المعنى الإحاليَّ الذي يَأْذَنُ بالانتقال بين هذه الألفاظ، في سبيل الشّرح والتّفسير، وهو ما نبني عليه أن ما يُسمّى ترادُفًا، ما هو إلا تقارب دلالي، على معنى الاشتراك في المعنم النوويّ الخلفيّ، أو الأدنى، وأن القائلين بالتّرادفِ هم مُراعون لهذا الاشتراك، وأنّ نُفَاةَ وقوعِه في اللغة هم مُرَاعُون، في المقابل، للاختلاف الحاصل بالمعانم الذاتية (= السياقية)[14]. ونحنُ، هنا، حين نقضي بأن المعنمَ النووي المشترك هو ذو طبيعة إحالية تفسيرية، لا جمالية، فلأنا نرى أن الجماليّة رهن بالفعل التّسييقي، إذ هي تَكْيِيف للوسيلة اللغويّة على وِفَاق مُقْتَضاها السّياقي، أما المعنى الإحالي، فهو صالحٌ لكلِّ سياق، فلا يتوفّر، على هذا الاعتبار، على قيمة جماليةٍ من أي نوع، لأنّ هذه ترتبطُ بالخصوصيّة الاستعماليّة، وتتصل مباشرة بالتّفرُّد التّوْظِيفي. في حين نجد المعنى الجمالي محصورًا في المعنى السّياقي؛ لأن جماليّتَهُ إنما تُرى في ذلك الإحساس الفني الملحوظ في إدراك الاتصال بين السّياق، بكافّةِ مكوّناتِهِ، وبين الاختيار الذي تُعبّر عنه الكلمةُ التي هي محلُّ البحث، وغيرُ خافٍ أنه لا سبيلَ إلى تحليلٍ نصّيٍّ موفَّقٍ إلا عبرَ المرورِ بالسياق (= الموقف الاتصالي)؛ إذ إنّ للسياق قُوَّةً تفسيريّةً كُبْرى لإمكاناتِ التّرابط المضمّنة في النّص، والضّامنةِ لنصّيّةِ النّص، تقولُ الدكتورة عزّة شِبل: **"يَبْرزُدورُسياق الموقف في تحقيق التّرابط النصي، عندما**

تكون هناك تَتَابُعَاتٌ ليست مقبولةً منطقيّاً، ولكنّها مقبولةٌ ومترابطةٌ بالنّظر إلى السّياق الفعلي، والبِنية الكبرى، فالسياقُ هو تجريدٌ لما نَعْني به الموقفَ الاتّصالي، وعناصرُ الموقفِ الاتصاليّ هي التي تحددُ قبولَ المنطوقات اللغوية (أوعدم قبولها)، أو إصابتها (أو إخفاقها)، أوكِفايتها (أوعدم كفايتها)"[15]. وعلى هذا، فإنه يمكنُ التّعرفُ على المعنى الإحالي من خلال ارتباطه المحصورِ في المعنى النّووي، وهو ما يُعرف كذلك بعدم وجود الداعي لما يقع فوقه من معان سياقية ذاتية، فالإحالةُ هي إرادةُ الحدِّ الدلالي الأدنى، والجماليةُ هي التّفطنُ الذّوْقيُّ إلى ضرورة ما يزيد عليه.

وها هنا محلُّ تمثيل؛ فقد أنفقَ غيرُ واحدٍ من علماء المتشابه اللّفظيّ في القرآن الكريم، جُهْدًا بحثيّاً غيرَ هيّنٍ في طلب فروقِهِ اللّغوية، أيْ بين مُتَرَادِفات معانيه، ومُتَشَابهات مبانيه، وإنّ لهم في هذا كتباً كثيرة16. على أنّ ما انتخبناه لبحثنا هذا، هو مسألةُ مجيءِ العبارة في موضع منه باستعمال لفظ الرّدّ، وفي موضع ثانٍ شبيهٍ به باستعمال لفظ الرّجع، والظّاهرُ في ذلك كلِّهِ تقاربُه المعنويُّ طالما تبادر للذّهْن أن قَوْلَ القائل: "رُدَّ إليَّ مالي"، كمثل قوله: "أرجع إليَّ مالي"، وهما أيضا كمثل قوله: "أَعِد إليَّ مالي". وبخاصّةٍ إذا يكونُ الأمرُ ذا صلةٍ بالآيات المتشابهات، وإن لم يكن تشابهها حاصلًا بالأفعال الثّلاثة جميعًا، بل قد يَرِدُ في فعلين منهما فقط:يقول الله تعالى: (فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّك) [طه: 40].ويقول: (فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّه) [القصص: 13].ويقول: (وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي) [فصلت: 50].ويقول: (وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي) [الكهف: 36].ويقول: (إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى) [العلق: 08].ويقول: (ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهَادَة) [التوبة: 94].ويقول: (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون) [البقرة: 156].ويقول: (أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الحَافِرَة) [النازعات: 10].وقد رأى المتقدّمون أن الرّدَّ في لغة القرآن الكريم، إنما يُؤْتَى به لما يتضمّنُ معنى الكراهة، فلا يتلبّسُ إلا بما هو مكروه، وذلك كنحو ما في الرّدّة والارتداد، فإنه لكراهة ترك الإيمان إلى الكفر، وكنحو تسمية العرب كل مكروه من الأشياء: ردّاً17. وحَمْلاً على هذا، طَفِقَ هؤلاءِ يجمعون بين كلّ ما جاءت العبارةُ فيه بالرّدّ، في القرآن الكريم، وبين كل معنى احْتَمَلَ كُرْها، فرأوا، مثلاً، أنه لما جاء في سورة القصص ذكرٌ لأذى فرعون، وبطشه ببني إسرائيل، وذلك مكروه، ورد التّعْبيرُ بعد ذلك بالرّدّ، فقال: (فرددناه إلى أمه)، وأنه لما خلا الكلامُ في سورة طه من ذلك، قال: (فرجعناك إلى أمك)، وأن صاحب الجنتين قال: (رُدِدْت إلى ربي)، لِكُرْهِهِ أن يخرج عن جنّتيه، وأنّ القولَ في فُصّل: (رُجِعْت إلى ربي)، فلِعَدَمِ تضمّنه كراهةً من نوعٍ ما، وهكذا جرى منطقُ هذا التّعليل وهذا التّحليل18.

وقد أَبَيْنَا، في استقراءٍ لنا لاستعمالات القرآن لهذين الفعلين، أن نُسَلِّمَ لهذا التّفْريقِ القائمِ على ربط الرّدّ بالكراهة، وإخراجِ الرّجْعِ عنه، وذلك لورود الرّدّ في سياقات المحبة والسّرور:قال تعالى: (أو رُدُّوها) [النساء: 86]؛ أي التّحيّة، والتحية عُنْوان المحبة والمودة.وقال تعالى: (وبُعُولتُهُنَّ أحقُّ بردِّهن) [البقرة: 228]؛ لما بين الزوجين من مودة ورحمة.وقال تعالى: (فارْتَدَّ بصيرًا) [يوسف: 96]، وفاقدُ البصر أشدُّ ما يكون فرحًا بأن يُبْصِرَ ثانية. وغير ذلك.ومن ثم اسْتَأْنَفْنَا البحثَ في الموضوع، بما انْتَهَيْنَا معه إلى ما يلي:

ضرورة إدراج فعل العود ضمن البحث في التوظيف الدلالي للرّدّ والرّجع.

الخُلُوص إلى الوجوه الاستعمالية الآتية:

أ- يتضمّنُ الرجع معنىً عامًّا، لا يكاد يختصُّ بغرض، فهو معنىً محايد، أو نوويٌّ ثابت، يُعَبّرُ عن معنى أنْ يَؤُولَ الشّيْءُ إلى حالٍ بعد كونه في حالٍ مُغَايِرة، ومن ثمَّ، فإنّ الرّجْعَ هو المعنى الإحالي.

ب- يتضمّنُ الرّدّ معنىً سياقيًّا زائدًا على الرجع؛ هو معنى الاستحقاق، أو المصيرُ بالشَّيْء إلى الطّرف الأحقّ به، ضمن سياق تَأَرْجُحِهِ بين جهتين، أو اضطرابه بين طرفين19.

ج- يتضمّنُ العَوْدُ معنىً سياقيًّا زائدًا على الرجع كذلك، هو الدّوَرَان المنتظم، وذلك بأن يؤول الشَّيْءُ إلى حالٍ قد سبق أن كان هو عليها، على نحوٍ دَوَرَاني. ولسوف نأتي بمزيد تفصيل لهذا كلّه في موضعه من التمثيل.

ثالثا: آلياتُ الخطاب القرآني في إنتاج الإحاليّة والجماليّة في التَّعبير التَّرادُفي:

1- آليّةُ الاقْتِضَاء: وتتعلّقُ بالمعنى الإحالي، حصرًا؛ وهو الرجع، كما في بحثنا، ومعنى الاقتضاء أن يَرِدَ استعمالُ الرجع حيث يكون له ارتباط بالموضوع ارتباطا منطقيا، فيقتضيه الموضوعُ على صورة سببية، أو جزئية، أو عِلّيَّة، أو غير ذلك، وقد انتهينا إلى نتيجةٍ هامّةٍ هُنا، هي أن آليّةَ الاقتضاء إنما تنحصرُ في المعنى الإحالي لأجل منع المعنى من النّقْض؛ أي الإبطال، وها هنا محلُّ تمثيل:

يقول تعالى: (فرجعناك إلى أمك)، فالرجعُ هنا إنما اقتضاهُ موضوعُ المنّ، فقد قال قبل هذا: (ولقد مَنَنَّا عليك مرة أخرى)، فلو أنه عبر بالرّدّ لانتقضَ المنُّ بمعنى الاستحقاق المضمّنِ فيه، فإنه لا يجتمع المنُّ مع الاستحقاق، ولا بدَّ من الإشارة، هنا، إلى أن الارتباط، في هذا الموضع، هو من النّوع الداخلي؛ أي داخل النص، فينبغي التّفطُّنُ إلى أن فعلَ الرّجْع هنا جِيءَ به في تعليل المن؛ إذا كان توجيهُ (إذ) من قوله: (إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى)، فيكونُ بين المن والاستحقاق ارتباطٌ تعليلي، وهو فاسدٌ لما سَبَق. أو هو قد جيء به مُتَزَامِناً مع المنّ، إذا أُوثِرَ توجيهُ (إذ) للظرفية، فيكونُ بين المنّ والاستحقاق ارتباطُ التّزامن، وهو كذلك فاسدٌ لتدافعهما المعنوي.

ويقول تعالى: (فلا تَرْجِعُوهُن إلى الكُفّار) [الممتحنة: 10]، فالرّجعُ، هنا، اقتضاه موضوعُ تحريم المؤمنات على المشركين، فلو قال: (لا تردوهن)، لانتقض التحريم بالاستحقاق، فإنه لا يحرمُ على المرء ما هو من حقّه، والارتباطُ، هنا، بين الرجع والتحريم خارجيٌّ مُسْتفَادٌ من فهم أن الإيمان والكفر لا يلتقيان.

ويقولُ تعالى: (إنا لله وإنا إليه راجعون)، فالرجعُ هنا اقتضاه موضوعُ إظهار اليقين المعبّر عنه بأدوات التوكيد، ولو أنه قال: (مردودون)، مع تضمّن الرّدِّ معنى الاضطراب لانتقضَ اليقينُ المقصودُ إليه بالكلام، ومثلُهُ: (إن إلى ربك الرُّجْعَى).

ويقول تعالى: (فلا جُنَاحَ عليهما أن يَتَرَاجَعا) [البقرة: 230]، إنما اقتضى الرجعَ هنا معنى الإباحة، ولو عبّر بالرّدّ لقام الاستحقاق، ولأفادَ الوجوب، وُجُوبَ وصول الحقّ إلى مُسْتَحِقّه، ولانتقضت الإباحة، وهكذا.

2- آليَّةُ التَّلاؤُم: وهي، في مُقَابِل ما تقدم، تتعلق حصرًا بالمعنى الجمالي، فإنّ من معنى التّلاؤُم التّناسب، والتّناسُبُ مفهومٌ سياقيٌّ خالص، والجماليّةُ التي نعني مُتأتّية هي من أنْ يُرَاعي صاحبُ الخطاب مُستوًى زائدًا على مستوى حماية المعنى من النّقض؛ أي أنّه لا يَكْتَفِي بتوفير الإبلاغ النّفْعي، بل يزيدُ عليه صُنْعَ الانسجام في الوظيفة الأدائية، بين كل الدّوالّ اللّغوية المستخدمة، وهنا تُرَى الجماليّةُ من خلال إمكانيّة قبول التّعْبير للتّفاوت بين مُسْتويين: مُسْتوى الاكْتفاء بالإبلاغ؛ أي الاقْتصار على المعنى الإحالي، ومُسْتَوى السّمو عليه بما يصنع انسجامًا وتلاؤُمًا يُشْعِران صاحبَ الفهمِ اللّغويِّ المثاليّ بتنسيقٍ تعبيريٍّ ناجِمٍ عن مَلَكَةٍ لُغويّةٍ رائدةٍ. ونمثل لهذا بما يأتي:

قال صاحبُ الجنّتين في سورة الكهف: (ولئن رُدِدْتُ إلى ربي)، مُسْتَعْمِلًا اللّفْظَ الموحيَ بالاستحقاق، تلاؤُمًا مع غُروره وكِبْرِه الذي تَشِي به لُغَتُه هذه: (أنا+ أفعل التفضيل: أعزّ – أكثر - خيرا)، فلو أنه قال: (رُجعت) لاستقام المعنى، ولكنّ الغرضَ هنا يسمو على إرادة استقامة المعنى، كما قدّمنا الشرح، بإظهار معنى الاستحقاق على صاحبه، فالتّعبيرُ بالرجع فيه نقصٌ من غرض الكلام ومُرادِهِ، وهو ما نُقرّر معه، أيضًا، أن آليّةَ الاقْتِضاءِ التي سبقت كانت لمنع النّقض، وأن آليّةَ التَّلاؤُم إنما كانت لمنع النقص.

وقال تعالى: (فرددناه إلى أمه)، لتقدُّم وَعْدِه، تعالى، لأمِّ مُوسى بأن يجعلَ من حقّها عليه، إن هي امْتَثَلَتْ لأمرِهِ، وألقت وليدَها في اليم، أن سَتَلْقَاهُ ثانيةً، فقد قال لها: (إنا رادُّوهُ إليك)، ولم يقل: (مُرْجِعُوه)؛ إذ إنَّ في الرجع إفهامًا لمعنى لقائها بابنها ثانية، لكنه على نقص غرض استحقاقها ذلك.

وقال تعالى: (فارْتدَّ بصيرا)، ولم يقل: فرجع بصيرا، زيادةً لمعنى الاستحقاق، جبرًا لنفس يعقوب، وفؤاده المكلوم؛ إذ إنّ بصره إنما كان فَقَدَهُ بما تعرض له من الظلم والقهر، ولكنه صبر، فاستحقّ الجزاءَ، ففي الرّدّ هنا إبصارٌ وجَبْر.

وقال تعالى: (وبعولتُهُن أحقُّ بردّهن)، فاستخدم الرَّدَّ ملاءمةً لقيام التَّبعُّل في المعنى، وللفظ (أحقّ) في المبنى، ولو قال: (بإرجاعهن) لكان في المعنى، على سلامته، نقصٌ حاصلٌ بالعدول عن اللّفظ الملائم للأحقّيّة، إلى ما لا يُنَاسِبُ معناها، وهكذا.

خُلاصةُ البَحْث، ونتائجه: إن الخطابَ هو حدثٌ تواصليٌّ يفترضُ وجودَ كَيْنونتين تتبادلان التّفَاعُل الاجتماعيَّ الواهبَ لكلّ خطابٍ حقيقتَه، وهو، من أجل ذلك، أشدُّ ما يكون تعقيدا، فإنّ الكينونةَ التي تحتلُّ الموقعَ الاستقباليَّ مطلوبٌ إليها أن تجتهد في مطابقة الكينونة التي في الموقع الإرسالي، لأجل مقاربة الخصوصية الفكرية، والسّيكولوجية والمعرفية، التي شاركت في بناء الحدث التّواصلي، بل بادرت إليه، وهو ما يصنعُ معضلةً حقيقيّة، تفسيرُها في أن تطابقَ الكينونتين المشار إليهما، هو أمرٌ مستحيل. على أن ثمّة ما قد يأْذَنُ بشيءٍ من المراهنة في مغامرة مجابهة الخطاب هذه:

1- إن الخطاب، بما هو عملٌ لغوي، في أُولى مستويات النّفاذ إلى مطاويه، فإنّه يُسْلِمُ إلى أن للّغة قدْراً هائلاً من مكنوناته الغائرةِ في التّعقيد، فالمدخلُ اللغويُّ كفيلٌ بالكثير، ذلك لأنه لا يُغادر من وسائل التّواصل شيئاً إلا أحصاه.:

2-تكشفُ المقاربةُ المعنميّةُ على أن الخطاب يَتَوَسَّلُ بعديدِ الآلياتِ في سبيل بلوغ غرضين أساسيين:

أ- الإيصال (= الإفهام = التفسير = الإحالة)، رضوخًا للضُّغوط المعرفية العقلية الواعية.

ب- التّأثير (= الفنية = الأسلوبية = الجمالية)، استجابةً للمطلب الذّوقي، وما ذاك إلا لأجل صُنع التّوازن في الحدث التواصلي.

هوامش وإحالات المقال

[1]تُدرس هذه الوظيفةُ ضمن ما يُسمّيه بعضُهم: الإعلاميّة، انظر مثلا: نظريّة علم النّص، د. حسام أحمد فرج، ص: 66.

[2]علم لغة النّص، النظريّة والتّطبيق، د. عزّة شبل محمّد، ص: 46.

3انظر: لسانيات النص، د. محمد خطابي، ص: 303، وعلم لغة النص، ص: 51.

4انظر: نظرية علم النص، د. حسام أحمد فرج، ص: 30، وعلم لغة النص، د. عزّة شبل محمد، 53.

[5]علم لغة النص، النظرية والتطبيق، ص: 105، ولسانيات النص، ص: 24، وعلم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، ص: 192.

[6]التحليل اللغوي للنص، كلاوس برينكر، ص: 143، وفي سيمياء الشعر القديم، د. محمد مفتاح، ص: 55، والمقاربة التداولية في الأدب والنقد، جميل حمداوي، مجلة العربية والترجمة، العدد: 09، السنة الرابعة، العدد: 09، ص: 70.

[7]علم اللغة العام، ص: 186.

[8]السيميائيات وتحليلها لظاهرة التّرادف في اللغة والتفسير، محمد إقبال عروي، مجلة عالم الفكر، ص: 189.

[9]السيميائيات الواصفة، المنطق السّيميائي وجبر العلامات، أحمد يوسف، ص: 11.

[10]محاضرات في السّيميولوجيا، د. محمد السرغيني، ص: 36.

[11]ينظر منها مثلا: الترادف في القرآن الكريم، د. محمد نور الدين المنجد، الفروق اللغوية و أثرها في تفسير القرآن الكريم، د. محمد بن عبد الرحمن بن صالح الشايع، وظاهرة الترادف في العربية، للأستاذ ماجد نجاريان، والترادف، لعلي الجارم، والترادف في اللغة، لحاكم مالك الزيادي، ودقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، لمحمد ياس خضر الدوري، والترادف، لخليل السكاكيني، والتحليل الدلالي في الفروق في اللغة، د. محي الدين محسّب، وجماليات المفردة القرآنية، د. أحمد ياسوف، وغيرها كثير جدا.

[12]ينظر: السيميائيات وتحليلها لظاهرة الترادف في اللغة والتفسير، ص: 189.

[13]انظر: السميائيات وتحليلها لظاهرة الترادف في اللغة والتفسير، ص: 189.

[14]السابق: ص: 189.

[15]علم لغة النص، النظرية والتطبيق، ص: 189.

[16]ينظر تفصيل الموضوع في: المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية، دراسة تحليلية لتراث علماء المتشابه اللفظي، د. صالح بن عبد الله الشثري.

[17]ينظر مثلا: الفروق في اللغة، للعسكري، ص: 92، ولسان العرب، 166/2.

[18]انظر مثلا: درة التنزيل وغرة التأويل، للخطيب الإسكافي، ص: 197، والبرهان في توجيه متشابه القرآن، للكرماني، ص: 169، وملاك التأويل، للغرناطي، 781/2.

[19]ينبغي في هذا الموضع التنبيه على أن ما خرج من الرد عن معنى الاستحقاق فإنه مضمن معنى يقتضيه السياق؛ كنحو قوله تعالى: (ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر) [الحج:5]، فقوله: (يرد) مضمن معنى الفعل: (يعش)، والله تعالى أعلم.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم (برواية ورش عن نافع)

1- نظرية علم النص، حسام أحمد فرج، رؤية منهجية في بناء النص النثري، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 1430، 2009.

2- علم لغة النص، النظرية والتطبيق، عزة شبل محمد، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 1430ه، 2009.

3- لسانيات النص، محمد خطابي، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006.

4- علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، سعيد بحيري، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، 1997.

5- التحليل اللغوي للنص،كلاوس برينكر، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج،

6- سيمياء الشعر القديم، تر: سعيد بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، 1425هـ، 2005.

7- المقاربة التداولية في الأدب والنقد، جميل حمداوي، مجلة العربية والترجمة، المنظمة العربية للترجمة، المجلد 4، العدد 9، مارس/آذار2012.

8- علم اللغة العام، فردينان دو سوسير، تر: يوئيل يوسف عزيز، مراجعة النص العربي: مالك يوسف المطلبي، دار آفاق عربية، بغداد، 1985.

9- السيميائيات وتحليلها لظاهرة الترادف في اللغة والتفسير، محمد إقبال عروي، مجلة عالم الفكر، العدد 3، 1996.

10- السيميائيات الواصفة، المنطق السيميائي وجبر العلامات، أحمد يوسف، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، ط1، 1425هـ، 2005.

11- محاضرات في السيميولوجيا، محمد السرغيني، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1987.

12- التشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية، صالح عبد الله الشثري، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1425هـ.